المحاضرة الخامسة :

تكملة لمحاضرة البنيوية الشكلية

مبادئ البنيوية :

- من أبرز المبادئ التي قامت عليها البنيوية هي أنّ (الأدب نصّ تام منغلق على نفسه) أي إن عملية دراسة الأعمال الأدبية تتم في ذاتها بغض النظر عن المحيط الذي أنتجت فيه

فالنص الأدبي منغلق في وجه كل التأويلات غير البريئة التي تعطيه أبعادا اجتماعية أو نفسية أو حتى تاريخية ، و مادّي في كونه قائما على اللغة أي الكلمات و الجمل .

- موت المؤلف : و هو من أهم المبادئ التي نادى بها رولان بارت ، بنسبة إليه " اللغة هي التي تتكلم و ليس المؤلف " ، و هذا يعني إلغاء شخصية الكاتب لكي يتولّد المعنى بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية .
- و لا بد من التنبيه إلى أن البنيوية لا تعنى بالمعنى بالدرجة الأولى بقدر ما تعنى بآليات إنتاجه و خلقه ، فالبنيوية تتحول عن دراسة المعنى إلى آليات خلق المعنى حسب قواعد علمية ، و هذا ما أشرنا إليه باعتباره تجاهلا تاما للمعنى .
- كما أنهم وضعوا نصب أعينهم غاية كبرى تتمثل في دراسة أبنية العمل الأدبي و علاقات بعضها بالبعض الآخر ، و كيفية آدائها لوظائفها الجمالية .

2- البنيوية التكوينية أو التوليدية :

أولا - في مفهوم البنيوية التكوينية :

هي فروع من فروع البنيوية نشأت استجابة لسعي بعض المفكرين و النقاد الماركسيين لتوفيق بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية ، و أسس الفكر الماركسي أو الجدلي ، كما يسمى أحيانا في تركيزه على التفسير المادي الواقعي للفكر و الثقافة عموما . و هو سعي لتجاوز البنية المغلقة للنص ، و محاولة لربطه بسياقه الاجتماعي ، من خلال تأكيد العلاقة الجدلية بين داخل النص و خارجه , و تنطلق البنيوية التكوينية من فرضية تقول ، إن كل سلوك بشري هو محاولة لتقديم جواب دلالي على موقف معين ، و غايتها غلق توازن بين الذات الفاعلة و بين موضوع الفعل أي العالم المكتنف بها .

و من المفكرين الذين ساهموا في صياغة الاتجاه البنيوي التكويني ، المجري جورج لوكاش ، و الفرنسي بيير بورديو غير أن المفكر الأكثر اسهاما من غيره في تلك الصياغة هو الفرنسي الروماني الأصل لوسيان غولدمان .

ثانيا – لوسيان غولدمان ومذهبه النقدي :

إن منهجية غولدمان تحاول البحث في العلاقات الرابطة بين الأثر الأدبي و سياقه الاجتماعي و الاقتصادي الذيسبق تكوينه ، فيرى أن " أي فكر أو أثر إبداعي لا يكتسي دلالته الحقيقية إلا عند اندماجه في نسق الحياة أو السلوك كما أنه لا يكون السلوك الذي يوضح الأثر هو غالبا سلوك الكاتب نفسه ، بل سلوك الفئة الاجتماعية التي لا ينتهي إليها الكاتب بالضرورة " ، و هذا لا يعني أن الأثر الأدبي انعكاس للواقع ، ف " غولدمان " يرفض هذه العبارة (عبارة انعكاس) ، و منهجه يقدم مدخلا داخليا و خارجيا لدراسة العمل الأدبي ، و يقوم على مراوحة مستمرة بين داخل العمل وخارجه ، إنه منهج لا يفهم العمل الأدبي ،لا باعتباره نسقا من العلاقات المتلاحمة داخليا ، و لكنه لا يفهم هذا النسق كتجريد مطلق ، فعندما يتعمق للكشف عن وظيفة هذا التلاحم الداخلي يضطر إلى العودة إلى الخارج حيث المجموعة الاجتماعية للأديب المنتج ، فيتوقف عندها لكي يفهم رؤيتها باعتبارها بنية أشمل ولدت بنية العمل الأدبي .

هذا ، و يؤكد " غولدمان " أنه يجب قبل البحث في العلاقة القائمة بين أي عمل أدبي و الطبقات الاجتماعية القائمة أثناء كتابة العمل ، يجب فهم العمل الأدبي نفسه وفهم دلالاته الخاصة ، ثم الحكم عليه من الجانب الفني باعتباره عالما ملموسا ، فمهمة الناقد – حسب غولدمان – هي استخلاص عناصر الدلالة الموضوعة للعمل الأدبي و هي دلالة يستطيع فيما بعد أن يحاول إقامة العلاقة بينها و بين العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية للعصر .

وقد أسس " غولدمان " منهجه البنيوي التوليدي عبر عمليتين مترابطتين أطلق عليهما " الفهم " و " التفسير "

1 – الفهم : يرى " غولدمان " أن الفهم عملية خاصة بالنص الأدبي بعيدا عن أية مؤثرات خارجية (المجتمع ، شخصية المبدع ...) و يتم فيها دراسة بنية العمل الأدبي – بوصفها نسقا موجودا خارج ذات الكاتب و خارج ذات الناقد – و تحليل العناصر المكونة له و أوجه الارتباط الداخلي بينها ، للوقوف على مدى تناغمها ، و قياس الكفاءة اللغوية و التخيلية .

و من هذه الزاوية تعالج البنيوية التوليدية مشكلتين مهمتين :

أولهما : مشكلة العلاقة بين تأويل الناقد و الدلالة الموضوعية للنص الأدبي ، بوصفها الغاية الأساسية التي يسعى إليها الناقد

وثانيهما : مشكلة العلاقة بين المقاصد الواعية للكاتب (و يقصد بالمقاصد الواعية للكاتب أفكاره الفلسفية أو السياسية أو الأدبية) و الدلالة الموضعية للنص الأدبي .

2- التفسير : يرى " غولدمان " أن عملية التفسير ترتبط بما هو خارج النص لينفتح على المجتمع ، و ينظر للبنية الأدبية باعتبارها مولدة عن بنية اجتماعية أوسع و يؤكد " غولدمان " على أن (الفهم و التفسير ليسا سوى عمليتين مترابطتين ومتكاملتين ففهم العمل الأدبي هو وصف بنيته الداخلية ، أما تفسير العمل الأدبي فهو توضيح تولده من بنية اجتماعية خارجية) ، و في هذا السياق يرى الناقد المصري " جابر عصفور " : " أن الحركة ما بين الفهم و التفسير لا تسير في اتجاه واحد و إنما هي حركة متعاكسة مثلما هي دائرية ، فنحن ننطلق من الفهم إلى التفسير ، ثم نعدل من التفسير في ضوء الفهم ، و هكذا دواليك إلى أن نصل إلى أدق إدراك لبنية العمل الأدبي " .

3- رؤية العالم : إن الانتقال من داخل بنية العمل الأدبي إلى المجتمع لا يتم بشكل مباشر ، و إنما عن طريق وسيط له وجود بين الاثنين يتمثل في رؤية العالم ، إذ يرى " غولدمان " أن مصطلح " رؤية العالم " هو أكثر المصطلحات دقة لتعبير عن العلاقة بين الأدب و الجتمع ، إذ رفض الفكرة التي ترى في النصوص الأدبية إبداعات لعبقرية فردية (الكاتب) ، و ذهب إلى أن هذه النصوص

تقوم على أبنية عقلية تتجاور الفرد و تنتمي إلى جماعات أو طبقات اجتماعية محددة ، ينتمي إليها الكاتب فكريا .

إن رؤية العالم – حسب رأي أحد الباحثين – هي تلك الفلسفة التي تنظر بها طبقة اجتماعية إلى العالم و الوجود و الانسان و القيم ، و تكون مخالفة بالطبع مخالفة بالطبع لفلسفة أو رؤية طبقة اجتماعية أخرى ، فمثلا رؤية الطبقة البرجوازية للعلم تختلف عن رؤية الطبقة البروليتارية ، رؤية التيار الإسلامي مختلفة جذريا عن رؤية شعراء التيار الاشتراكي في أبنا العربي المعاصر و هكذا ...